أثر العوامل الاقتصادية والاجتماعية في تطوير الحياة الثقافية في البصرة

الدكتور عبد الجبار ناجي
كلية الاداب/جامعة البصرة

(١)

دون شك ان تاريخ العراق السياسي والاجتماعي والحضاري خلال القرن الاول للهجرة هو بالفعل تاريخ مدينتي البصرة والكوفة، وان المدن العربية الاسلامية الاخرى التي تأسست خلال هذه المرحلة التاريخية او التي اعقبتها من امثال مدن واسط والموصل وبغداد قد انتفعت الى درجة غير قليلة من هاتين المدينتين سواء كان ذلك من الناحية البشرية ام من النواحي التخطيطية والفكرية. فالبصرة والكوفة اول مدينتين عربيتين قد خطط اسسهما المساهمون في حركات التحرر العربية خارج الجزيرة العربية ابان السنوات المبكرة من القرن الاول للهجرة/السابع للميلاد.

لقد وضع بعض المستشرقين المهتمين بدراسة المدن العربية الاسلامية قاعدة نظرية طبقوها على جميع المدن، تلك المدن التي تركز على ان هذه المدن. على خلاف المدن الاوربية هيلينية ورومانية كانت مجرد مدن وقتية لايستمر وجودها وبقاؤ ها اكثر من قرن او قرنين من الزمن ثم سرعان ماتأخذ بالانحدار او الانتكاسة في اهميتها الى ان تصل الى مرحلة لانتهاء والاضمحلال فتتحول الى مجرد انقاض[1] واطلال.

1)See B/ Lewis: THE Islamic Guilds (v111) p. 20 M. Hammond : the city in the ancient world) 1972 (p.342)

وفي احيان تختفي اثارها نهائيا فتصبح مهمة تحديد مواقعها الجغرافية عسيرة جدا. حقيقة ان هذه الفرضيات الاستشراقية لها مايبررها وانها تنطبق فعلا على نشوء وارتقاء واضمحلال بعض المدن العربية الاسلامية،كما انها تنطبق ايضا على تطور بعض المدن الاوربية وانتهاء دورها. لكن من الصعب جعلها قواعد ثابتة تفسر بها فلسفة نشوء المدينة العربية، ومدينة البصرة على وجه التحديد من بين المدن القديمة التي تأسست سنة ١٤ هجرية غير انها لم تضمحل او تتضاءل اهميتها بعد قرن او قرنين من الزمن،على العكس فانها ظلت تلعب دورا متميزا في التاريخ العربي سياسيا واقتصاديا واجتماعيا وثقافيا. والاصح ان اهميتها وفعاليتها كمدينة مركزية قد تصاعدت كثيرا،اكثر مما كانت عليه اثناء التأسيس وخلال القرن الاول للهجرة فاصبحت، في القرن الثاني والثالث للهجرة، ميناء العراق الرئيس ومرفأه التجاري والاقتصادي واتسع على اثر ذلك نشاطها في الفعاليات التجارية المحلية والاجنبية،وذاع صيتها وصيت التاجر البصري في الافاق حتى ان ابن الفقيه الهمذاني قال في هذا الصدد بان المرء اينما كان يذهب في البلدان لابد وان يقابل تاجرا بصريا[٢].

وتجاوزت اهميتها هذا الدور الى ان اصبحت جغرافيا واداريا اوسع بكثير عما كانت عليه في السابق اذ تطورت لتكون مركزا اداريا مستقلا يهيمن على منطقة جغرافية واسعة تضم مدنا وقرى ومراكز متعددة وصار والي المدينة او عاملها الاداري يجمع في الوقت نفسه مهمات ومسؤوليات ادارية واسعة متمثلة بولاية مدن ومراكز مختلفة كمدينة الابلة ومفتح وعبادان والاحواز والبحرين وصار اثناء حركات التحرر العربية اميرا مشرفا على جبهة عسكرية واسعة امتدت في بعض الاوقات حتى سجستان شرقا. ولم يبق التكوين الاجتماعي للمدينة بسيطا كما كان عليه خلال القرن الاول للهجرة فالمدينة لم تعد مدينة مقتصرة على سكنى المقاتلين العرب وعوائلهم انما اخذت بمرور الزمن تجتذب عناصر بشرية مختلفة. فضلا عن ان اهالي المدينة قد بذلوا جهودا متميزة في حركات التحرر العربية فاسهموا بفعالية في فتح مدن دست ميسان ومناذر ونهر تيري والاحواز وقم وقاشان واصبهان وغيرها من المدن الفارسية واسهموا بحوالي الف وخمسمائة مقاتل للمشاركة مع اخوانهم العرب في معركة القادسية[٣]. ان هذه الخلفية الاجتماعية والعسكرية لمشاركة البصريين في القتال ضد الفرس قد جلبت معها نتائج اجتماعية واقتصادية مهمة.

---

(٢) ابن الفقية الهمذاني: البلدان ص ١١ ـ ١٢

(٣) تاريخ خليفة بن خياط [تحقيق سهيل زكار] ج ١ ص ١٢٠

ومما يجدر ذكره ان المدن العربية التي تأسست في العراق بعد فترة تأسيس البصرة امثال واسط والموصل وبغداد قد انتفعت بشكل ملحوظ من التكوين الاجتماعي السكاني والطوبوغرافي لمدينة البصرة، فاعتمادا على ماذكره الجغرافي ابن حوقل بان تركيب سكان مدينة الموصل عند تأسيسها كان من البصرة والكوفة[٤] والموصل ايضا قد تأثرت من ناحية التخطيط بالبصرة. كذلك فان مدينة واسط قد اجتذبت عددا من اهالي البصرة لاسيما بعد موت مؤسس واسط الحجاج الثقفي[٥] اذ ان الحجاج كان لايسمح للاهالي من غير واسط ان يسكنوا فيها،لكن هذه السياسة تغيرت بعد وفاته. اما بخصوص مدينة بغداد فانها اجتذبت بعد تأسيسها الكثير من سكان البصرة والكوفة،وقد اتخذ البصريون في المدينة المدورة خططا خاصة بهم. ناهيك عن القول بفضل مدينة البصرة على بغداد وغيرها من المدن من الناحية الثقافية اذ امدت بغداد بنخبة من الفلاسفة والنحاة والادباء المشهورين.

وفي الوقت الذي انتكست في اهمية مدينة الكوفة،التي تأسست مع البصرة في فترة تاريخية متقاربة،منذ القرن الثالث للهجرة فصاعدا، واختلت فيه احوال مدينة بغداد سياسيا واجتماعيا واقتصاديا ابان السيطرة الاجنبية الديلمية والسلجوقية وفي نهاية الامر انهيارها واضمحلال دورها على اثر الغزو المغولي، بقيت مدينة البصرة تمثل المصدر الاقتصادي والتجاري المهم. حتى انها صارت هدفا لاطماع القبائل البدوية والكيانات السياسية في عمان والاحواز والبحرين والبطائح، فنشدحكام هذه القوى السيطرة على البصرة وضمها الى مناطق نفوذهم. اما في التاريخ الحديث فقد توجهت اليها انظار الطامعين والغزاة الاجانب كالبرتغاليين والهولنديين والبريطانيين فالمدينة كما رأينا،بقيت ترفد تلك الفترة التاريخية الطويلة من تاريخنا العربي سياسيا واقتصاديا وثقافيا.

(٢)

تؤكد جميع التفسيرات اللغوية التي اوردها مؤلفو المعاجم اللغوية العربية بان اصل كلمة(بصرة) عربي مأخوذ من الطبيعة الجغرافية للارض التي تأسست فيها مدينة البصرة فالكلمة تعني عند بعض اللغويين الارض الطية الحمراء، وعند البعض الاخر الحجارة البيضاء الرخوة وعند اخرين الطين العلك. اما ماجاء به حمزه الاصبهاني من ان الكلمة معربة تعني ملتقى الطرق وهي بالفارسية بس[٦] راه فليس له واقع تاريخي.

---

(٤) ابن حوقل: صورة الارض ص١٩٤ ـ ١٩٥.

(٥) انظر د. عبد القادر المحاصدي: واسط في العصر الاموي ص ١٢٥، واسط في العصر العباسي (فصل الحياة الاجتماعية).

(٦) انظر ابن منظور: لسان العرب (مادة بصر) الزبيدي: تاج العروس (مادة بصر)

ان هذه المسألة اللغوية،ولاسيما تلك التي تجعل من اصل المدينة معرب او بالاحرى فارسي تنقلنا الى موضوع الجذور،التاريخية للمدينة، أأنها كانت موجودة قبل مجيء العرب وتحمل الاسم ذاته ام انها قد تأسست خلال حركات التحرر العربية فعلا؟ يبدو من استقراء الاشارات التي وردت في تاريخ العراق القديم ان هناك موضعا مأهولا يقع في مكان مامن المنطقة التي احتلت مدينة البصرة جزءا منها،فقد ورد في نقش يرجع تاريخه الى الملك الاشوري سنحاريب اسم موضع يعرف باب سلامتي او[٧] باب السلامة الذي،كما يعتقد البعض، انه كان يقع في مكان قريب من الوضع الذي صار فيما بعد مدينة البصرة لكن حسبما يبدو ان باب سلامتي هذه لم تستمر طويلا جدا فان الاشارة التي اوردها الرحالة الجغرافي نيارخوى الى موضع يقع على شاطىء النهر الذي دخلته سفنه خطئاوهو نهر دجلة،وكان في الاصل يريد دخول نهر الاحواز،ان هذا الموضع لم يكن باب سلامتي انما اطلق عليه تريدون او ديريدوس[٨]. وقد استنتج بعض الباحثين ان موضع تريدون هذه يقع ايضا بالقرب من المكان الذي صار بعدئذ مدينة البصرة. والمهم ان كلا الموضعين لم يظلا مأهولين فترة طويلة،وان الجيوش العربية عندما قدمت منطقة البصرة لم تجد موضعا مأهولا او مدينة. واعتمادا على الروايات التاريخية فان العرب حينما وصلوا المنطقة سنة ١٢ هجرية اثناء حملة خالد بن الوليد او ١٤ هجرية اثناء حملة عتبة بن غزوان لم يجدوا موضعا مأهولا بالسكان والعمران لكنهم وجدوها منطقة خالية فيها بعض خرائب لقصور قديمة فاطلقوا عليها حينئذ اسم[٩] الخريبة وان هناك اجماع بين المؤرخين والجغرافيين الرواد على ان العرب المقاتلين هم الذين اختاروا موضع المدينة واسهموا في وضع اللبنات الاولى لخططها وكانوا هم اول من قطنها وبنى فيها الدور بعد ان مصروها.

كان عدد المقاتلين الذين اتخذوا مساكنهم في موضع البصرة قليلا في بداية الامر، وذلك لان هدف الحملة الاولى كان استطلاعيا وان عتبة بن غزوان بعد ان فتح الابلة كاتب الخليفة الثاني عمر بن الخطاب (رض) للحصول على الموافقة في اتخاذ معسكر له وللمقاتلين المرافقين له،واختار هذا الموضع بهدف ان يقوم بوظيفة المخيم العسكري حيث تنطلق منه الحملات العسكرية ضد الفرس ضمن هذه المنطقة من العراق. فنزل عتبة والمقاتلون العرب في اخبية وقباب[١٠] وخيام، ولكن الموضع تحول، بعد

---

(٧) حوليات سنحاريب كما اوردها جورج رو: مواضع قديمة مكتشفة حديثا في منطقة هور الحمار مجلة سومر (١٩٦٠) ص ٣١

(٨) اليو اوبنهايم .Ancient Mesop (١٩٦٤)، د. طه باقر: التاريخ القديم لوادي الرافدين ج ١ ص ٣٠.

(٩) ابو حنيفة الدينوري: الاخبار الطوال ص ١١٧، البلاذري: فتوح البلدان ص ٣٦٦.

(١٠) البلاذري: فتوح ص ٣٣٦، ٣٤٥

انتصار عتبة على الفرس في الابلة وعبوره شط العرب، الى مصر فابتنى فيه المسجد الجامع لاداء فريضة الصلاة والصلاة الجامعة ودار الامارة والسجن والديوان[11]. وفي هذه الفترة اختط العرب خططهم البسيطة مستخدمين القصب مادة للبناء لتوفره بكثرة في بطائح البصرة.

بقي هذا الطابع العربي القبلي هو الطابع السائد على الهيئة السكانية للمدينة خلال هذه الفترة المبكرة. وكان لهذا الطابع تأثير كبير على تشكيل الاسس الاصلية للحياة الفكرية والثقافية لعلماء البصرة ومحدثيها وفقهائها وزهادها وادبائها ومؤرخيها.

لقد جلبت التطورات العسكرية السريعة والتي حققها العرب في الجبهة البصرية نتائج في غاية الاهمية لاعلى الصعيد العسكري والاداري حسب انما على الصعيد الاجتماعي والطوبوغرافي وبما له علاقة بالموضع الذي نحن بصدده فان المدينة لم تعد مجرد مخيم بسيط انما صارت القاعدة الاساسية التي تنطلق منها الجيوش العربية باتجاه منطقة واسعة من بلاد فارس (كور دجلة والاحواز واصبهان وقم وقاشان[12]). وقد تم فتح هذه المراكز ايام ولاية ابي موسى الاشعري (١٧ ـ ٢٥هـ/٦٣٨ ـ ٦٤٥) وساعد هذا التحول على جذب اعداد غفيرة من المقتلين العرب الجدد الى الموضع فازداد حجم السكان بشكل ملحوظ. لذلك باتت الحاجة ماسة الى اعادة تنظيم المدينة كي توائم هذه التطورات فنصح الخليفة الثاني والي المدينة ان يعيد تنظيمها على ان يخصص لكل قبيلة عربية محلة،وعلى ان يشجع الاهالي على بناء منازلهم.والاهم من ذلك كله فان الخليفة اعطى ارشاداته بشأن وضع مخطط محدد القياسات لشوارع المدينة الرئيسة والفرعية والازقة[13]وفي هذه الفترة التاريخية برزدور سوق المدينة الذي اشتهرت به، المربد،فكان في بداية الامر سوقا للتجارة والتبادل البضائعي وسوقا فكريا في ان واحد.

وبمرور الزمن احتاج الاهالي الى اسواق اخرى في مناطق مختلفة من المدينة التي شهدت اتساعا في الرقعة والعمران.

واما ان حل النصف الاول من القرن الاول للهجرة / السابع الميلادي حتى قفزت المدينة قفزات تمدنية واسعة فتزايد رخاء اهاليها بما جلبته لهم حركات الفتح من واردات وغنائم وعطاء،وتزايدت قوتها البشرية وانفتح المجال امام العناصر غير العربية باتخاذها موطنا ومشاركة اخوانهم العرب المسلمين في مزاولة الاعمال والمهن فقطنها اقوام من امثال الاساورة والزط والسيابجة والاصفهانين والاندغات والزنج وغير ذلك

---

(١١) خليفة بن خياط: تاريخ ج ١ ص ١١٦، البلاذري فتوح ص ٣٤١، ٣٤٢، ٣٤٥

(١٢) خليفة بن خياط: تاريخ ج ١ ص ١٦٠، ١٦٧

(١٣) الطبري: تاريخ الرسل والملوك {ط /اوربية} م١ /٢٤٨٨

من الناس.ولاغرومنتيجة لتلك الزيادة، ان يبلغ تعداد سكانها من المقاتلين العرب فقط، اعتمادا على سجل او ديوان المقاتلين، حوالي ستين(١٤) الف مقاتل ماعدا عوائلهم والعناصر الاخرى التي لم تدخل في ذلك الديوان. اما من الناحية التخطيطية فقد طرأ تعديل على طوبوغرافيتها ايام ولاية زياد بن ابيه في الفترة الاموية فانقسمت تلك المحلات القبلية السابقة الى اخماس خمسة تبعا للقبائل العربية التي سكنتها وهي: خمس اهل العالية وخمس تميم وخمس بكر بن وائل وخمس الازد وخمس عبد القيس. بعدئذ توزعت العناصر غير العربية ضمن هذه الاخماس بالولاء الى القبائل التي احتوتها فكانت خطة الاساورة مثلا تقع ضمن خمس بني تميم، وخطة السيابجه الذين ترجع اصولهم الى الهند كانت تقع ضمن خمس اهل العالية، وكان درب الاحباش، المنسوب الى اولئك القادمين من الحبشة،يقع في خمس اهل العالية ايضا(١٥).

وسرعان ماتضاعف عدد المقاتلين في المدينة خلال النصف الاول من القرن الاول للهجرة فبلغ تعداد المقاتلين العرب وعوائلهم في ديوان العطاء حوالي ٢٠٠,٠٠٠(١٦) نسمة ماعدا اولئك الذين لم يدخلوا في هذا الديوان.

ان التطورات السكانية والادارية والاقتصادية السابقة كانت نتائج مباشرة لتصاعد اهمية البصرة في الجبهة العسكرية حينما اتخذت قاعدة رئيسة لتجمع القوات ومن ثم انطلاقها باتجاه جنوب بلاد فارس شرقا والسند والهند. فحولت هذه التوسعات العسكرية المدينة الى وحدة ادارية تشرف على منطقة جغرافية ـ عسكرية واسعة،كما كانت هي الحالة بالنسبة الى اختها مدينة الكوفة التي كانت تشرف على منطقة جغرافية عسكرية من القسم الشمالي من بلاد فارس شرقا الى سمرقند وبخاري وغيرها من بلدان ماوراء النهر. غير ان استقرار الفتوحات الاسلامية في المشرق بعد سقوط الامبراطورية الساسانيةوانهيار الكيانات السياسية في شرق وجنوب شرقي اسيا وبلاد ماوراء النهر قد اثر كثيرا على مكانة واهمية مدينة الكوفة اذ تضاءل دورها ونشاطها منذ القرن الثاني والثالث للهجرة فصاعدا، في الوقت الذي كان فيه التأثير على مكانة البصرة قليلا،فلم يقض استقرار عمليات الفتح على المدينة ولم يؤدي الى تضاءل اهميتها.

واجهت البصرة والكوفة تحدٍ تمدني منذ منتصف القرن الثاني للهجرة ذلك المتمثل ببروز مدينة العاصمة،المدينة المدورة ان تأسيس بغداد، المدينة المدورة سنة ١٤٥ هـ/٧٦٢ واعتبارها المحور المركزي للدولة العباسية شكل تحديا للامصار الاسلامية القديمة.

---

(١٤) البلاذري: فتوح ص ٥٠٧، الطبري: م١ / ٢٣٧٠ ـ ٢٣٧١

(١٥) انظر الجاحظ: الحيوان ج٣ ص ٢٩٠، ج ٧ ص ١٩، ياقوت الحموي: معجم البلدان ج ٢ ص ٢١٣.

(١٦) البلاذري: انساب الاشراف ج ٤ ق ٢ ص ١١٦، د. صالح احمد العلي: التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة في القرن الاول للهجرة.

فالمدينة العاصمة اجتذبت العلماء والادباء والمفكرين واصحاب المهن والحرف والتجارات فصار نمو هيئتها السكانية واتساع نفوذها الاقتصادي والاجتماعي على حساب تلك المدن القديمة كالبصرة والكوفة وواسط والموصل وغيرها من المدن. وبالفعل فقد كان التأثير سريعا على مدينة الكوفة،لتصبح اعمالها ومرافقها،كما يقول ابن حوقل في منتصف القرن الرابع للهجرة مضافة الى اعمال[17] بغداد. ومع ان مدينة البصرة لم تنج من اثار هذا التحدي لكن من حسن حظها استطاعت الصمود والتطور بفعل ظهور تطور جديد رافق نشوء الدولة العباسية الا وهوالنشاطالاقتصادي القائم على اساس التجارة.

ان هذا التطور جعل مدينة البصرة مرة اخرى مركز جذب ونشاط اقتصادي متطور. فقد ساعد العباسيون،على اثر نقلهم مركز ادارة الخلافة العربية من دمشق الى العراق،على نقل ميزان التعامل التجاري البحري من طريق البحر الاحمر-البحر المتوسط-الى الخط البحري الاقصر عبر المحيط الهندي-الخليج العربي[18] البصرة-بغداد. ولم يقصر الامر على هذا التحول التجاري انما ينبغي ان لانغفل اثر التحولات الاجتماعية والاقتصادية التي مر بها المجتمع العربي في القرن الثاني للهجرة المتمثلة بتزايد النشاطات الاقتصادية سواء كانت في التجارة ام في الصناعات المحلية ام في اتساع العلاقات التجارية بين بغداد مركز الخلافة وبقية المدن العراقية من جهة وبين العراق ومختلف الاقطار والبلدان المجاورة والبعيدة كالخليج العربي والهند والصين وقد ادت هذه التطورات الى تصاعد اهمية التجارة الداخلية والخارجية والى تصاعد اهمية المدن والمراكز التمدنية التي كانت تقع على الطرق التجارية البرية والنهرية والبحرية. فبرزت، على اثر ذلك،مدن جديدة قامت بسبب العوامل التجارية،بينما من الجهة الاخرى نمت وتطورت وازدهرت مدن اخرى كانت تقع ضمن نطاق هذه الخارطة الجغرافية التجارية.من هذا كله انتفعت مدينة البصرة انتفاعا كبيرا مستفيدة من موقعها الجغرافي القريب من شط العرب، ذلك النهر الصالح للملاحة النهرية والسفن الكبيرة نسبيا،ومن موقعها القريب من الخليج العربي الممر المائي المهم جداً لمرور السفن التجارية الكبيرة الذاهبة نحو المشرق وافريقيا[19]. بذلك تحولت وظيفة المدينة من مجرد قاعدة عسكرية وادارية الى مركز تجاري بل الى ميناء تجاري رئيس على الطريق البحري عبر الخليج العربي-شط العرب-البصرة-بغداد. فضلا عن الطريق

---

(١٧) ابن حوقل: صورة الارض ص ١٣٥، المقدسي: احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ص ١٩٠.

(١٨) B - Lewis: The Fatimid and the route to India in RFSE Univ. of Istanbul (1949 - 50)

(١٩) د. عبد الجبار ناجي: البصرة والخليج العربي. مجلة الخليج العربي،عدد ١ سنة ١٩٧٣ ص ١٤٨ - ١٥٦.

البحري النشط سنويا وهو طريق الحجاج الذي كان يبدأ من المشرق الى مكة المكرمة. والمدينة كانت تقع ايضا على طريق نهري داخلي يصل مدن سوق الاحواز ومراكز اخرى من بلاد فارس عن طريق نهر الاحواز والنهر العضدي بالابلة والبصرة، والطريق النهري الاخر. . . الذي يربط البصرة بعبادان (عن طريق شط العرب)، والطريق الذي يربط بالبصرة، والبصرة بمدينتي واسط وبغداد (عن طريق شط العرب ايضا). فقد خدمت هذه الظروف الجغرافية ومرور طرق التجارة بها في تطوير واستمرار عطائها فترة اطول من المدن الاخرى. فصارت الميناء الذي تتم عن طريقه الاتصالات التجارية بالعالم الخارجي[٢٠]، وتعقدت احوالها الاجتماعية والاقتصادية اذ تحدثنا المصادر التاريخية والجغرافية عن نشوء عدد من المؤسسات التجارية المعقدة في المدينة وتعددت اسواقها ونشطت الفعاليات الاقتصادية اليومية فيها، وظهرت الحاجة الى تسهيل هذه العمليات التجارية عن طريق وجود الصيارفة والبنوك فصار التعامل التجاري داخل المدينة وخارجها يجري بموجب اوراق التحويل، السفاتج[٢١]. ورافق هذه النهضة التجارية نهضة صناعية محلية وزراعية فذاع صيت البصرة بظهور عدد من الصناعات التي بلغت شهرتها الافاق من امثال صناعة الانسجة لاسيما نسيج البز والخز والانسجة القطنية وانسجة العمائم الرقيقة واللحف والفوط البصرية. كما ظهرت صناعة بعض العطور كالمارود والبنفسج، وصناعة الزجاج والبلور والفخار، واشتهرت المدينة بصناعة الحصران[٢٢]. وكانت معظم هذه الصناعات تدخل في قائمة الصادرات الى المناطق المجاورة والعالم الخارجي. .

ومما يذكر ان الخليفة العباسي المعتصم قد اعتمد على صناع الزجاج البصريين في الاعمال الزجاجية في مدينته الجديدة سامراء. اما في الجوانب الزراعية فقد تحولت المنطقة المحيطة بها الى منطقة زراعية واسعة في الحبوب والنخيل واشجار الفواكه، وكانت التمور البصرية المتعددة الانواع مصدرا انتاجيا مربحا تصدره الى مختلف البلدان.[٢٣]

---

(٢٠) د. عبد الجبار ناجي: شط العرب بين التاريخ والسياسة مجلة الخليج العربي / مجلد ١٥ ١٩٨٣ ص ٥٥

(٢١) ناصري خسرو: سفرنامة (ترجمة يحيى الخشاب) ص ٩٦

(٢٢) المقدسي: احسن التقاسيم ص ١١٨، ١٢٨، ١٣٨، ٤١٥

(٢٣) حمد الله القزويني: نزهت القلوب ص ٤٦، رحلة الرحالة الصيني Chinus and Arab : Chau - yu - kua

(٣)

كان لهذه المؤثرات والمتغيرات الاقتصادية الجديدة التي شهدتها المدينة دور بارز في تحقيق عدة مظاهر ثقافية وتمدنية منها:

ا ـ بما ان المدينة قد تحولت وظيفتها الى مدينة مزدأ او مدينة تجارة كما يطلق عليها الجاحظ*، فقد اصبحت مفتوحة امام العديد من العناصر العربية وغير العربية، المسلحة وغير المسلحة، فالتقت فيها الموروثات الحضارية والافكار والاراء المترجمة من الحضارات العالمية كاليونانية والهندية والفارسية والسريانية. فمن الثابت تاريخيا ان النظريات والتفسيرات التي طرحها علماء الكلام والمعتزلة البصريين لها الفضل الكبير في تطور الفكر الفلسفي العربي. والمعروف ان معتزلة البصرة تعد المدرسة الرائدة في هذا المجال العقلي التي اثرت كثيرا على مدرسة الاعتزال في بغداد سواء كان ذلك في مجال الاراء والمناقشات ام في التاليف والتصنيف. ان مؤلفي كتب الفرق الاسلامية يسندون الى واصل بن عطاء،تلميذ الحسن البصري ومؤسس الفكر المعتزلي،القواعد الاساسية التي دافع عنها المعتزلة واهمها: مبدأ القول بنفي الصفات عن الله عزوجل، ومبدأ القول بالقدر، والقول بمبدأ المنزلة بين المنزلتين وان ابراهيم بن يسار النظام (ت ٢٢١ هـ /٨٣٥م) وابا هذيل العلاف (ت ٢٣٥ هـ / ٨٢٩) والجاحظ (ت ٢٥٥ هـ /٨٦٥) قد اضافوا اضافات وابداعات فلسفية وعقلية الى عطاءات واصل بن عطاء، ومن الممكن القول ان هذا العلم قد تطور على ايديهم ليصبح علما كلاميا متميزا لاسيما بالنسبة الى ارائهم في نظرية الاستطاعة ومبدأ صفات الله تعالى ومبدأ افعال العباد ومبدأ الجزء الذي لايتجزأ والجوهر[٢٤].

ب ـ غلبة منهج البحث العقلي على انتاجات مفكري البصرة وعلمائها وفلاسفتها ونحاتها. وقد شخص بعض الباحثين المحدثين هذه السمة الفكرية عند تناولهم بالدراسة مدرسة النحو البصرية ومقارنتها بمدرسة النحو الكوفية علاوة على ذلك فان منهج المعتزلة كان قائما على اساس العقل. والواقع ان مدينة البصرة قدمت خدمة جليلة في انتاج مفكري مدرسة الاعتزال من مناقشات ومؤلفات انشغل في التفكير بها ومناقشته الفكر العربي الاسلامي لاكثر من قرن من الزمن وبصورة خاصة في قضايا عقلية محضة كتلك المتعلقة بتحديد الايمان ومن هو مؤمن ومن هو فاسق ومن هو كافر، ومسألة خلق القرآن ومسألة التوحيد ويتضح

---

* المقدسي: احسن التقاسيم (عن الجاحظ) ص ٣٣

(٢٤) انظر ابن النديم: فهرست، الشهرستاني: الملل والنحل (ط/١/١٩٧٧) ص ٥٠ ـ ٥٣، ياقوت الحموي: معجم الادباء (القاهرة) ج ١٩ ص ٢٤٣ ٢٤٧

(٢٥) انظر الشهرستاني: الملل والنحل ص ٥٧، القفطي: تاريخ الحكماء ص ٢٩٣ ـ ٢٩٤، ابن خلكان: وفيات الاعيان ص ٥٧.

منهج البحث العقلي في معالجات ابي هذيل العلاف والجاحظ،تلك المعالجات العلمية التجريبية التي حققها في حقل اجراء التجارب على الحيوانات ومدى مطابقة وصحة نظريات شيخ المناطقة ارسطو طاليس الذي يعد اول من كتب عن الحيوانات،وقد خطأ الجاحظ مثلاً عددا من الاراء التي توصل اليها ارسطو وظلت ثابتة طيلة تلك الفترة، فالجاحظ في عدد من المناسبات لايتفق واراء شيخ المناطقة وفقا للنتائج التي كان يتوصل اليها بعد اخضاع الرأي الى التجربة والمشاهدة والاحتكام الى العقل[٢٦].

ج ـ الريادة في الانشطة الثقافية،ان استقراء الاقتباسات التي اعتمدها المؤرخون الرواد وعلماء النسب والطبقات والتراجم توضح بجلاء مكانة مؤرخي البصرة ودورهم الفاعل في تطوير الكتابة التاريخية، وليس مبالغا اذا ماقلنا بان اول كتاب في طبقات الرجال والنساء يصل الينا هو طبقات محمد ابن سعد البصري وطبقات خليفة بن خياط العصفري البصري،وقد تضمنت هذه الكتب العلمية المتميزة معلومات تاريخية ونسبية قائمة على مبدأ الجرح والتعديل،كما انه ليس مبالغا القول بان اول مؤلف وصل الينا عن الكتابة التاريخية العامة او الشاملة جاء من البصرة ايضا وهو كتاب تاريخ الخلفاء الكبير للمدائني وتاريخ خليفة بن خياط[٢٧].

د ـ هذا فيما يتعلق الأمر باثار التطورات الاقتصادية على النشاط الفكري في البصرة اما بالنسبة الى تأثير هذا المتغير على تنمية المدينة نفسها عمرانيا واجتماعيا فان ذلك ايضا. فقد اتسعت المدينة خلال فترة الانتعاش الاقتصادي ـ التجاري وتعددت وحداتها الطوبوغرافية ونشأت عدة ضواح ومراكز صغيرة الى جوار المدينة من امثال الابلة ومسماران والجعفرية ومفتح،واتخذ اصحاب الشأن والنفوذ والتجارة هذه الضواحي والمراكز مقرا لهم بدلا من المدينة التي يبدو انها اضحت مزدحمة بالسكان والنشاطات التجارية،وقد ساعد هذا ايضا على بقاء المدينة وتزايد اهميتها وتعقد احوالها الاجتماعية.

فلم تعد المعايير القبلية التي كانت المعايير السائدة عند نشوء المدينة والتي تشكل حولها بنية المجتمع البصري فصارت الاحوال الاقتصادية والمالية هي المعايير الجديدة، لاسيما وان المجتمع العربي الاسلامي مجتمع منفتح ومتسامح. فكان الاهالي من غير العرب او اهل الذمة يقومون باعمال ونشاطات تجارية داخل المدينة، وصارت لهم مكانة اجتماعية مرموقة حتى ان المؤرخين يشيرون الى ان هناك تاجرا بصريا يهوديا هو ابن علان اليهودي كان متنفذا حتى انه تولى ضمان مدينة البصرة لما كان يتمتع به من

---

(٢٦) د. عبد الجبار ناجي : رؤية تراثية الى علم الحيوان عند الجاحظ،مجلة العلوم عند العرب حلب / ١٩٧٦ مجلد ١

(٢٧) د. عبد الجبار ناجي ود. عبد الحسين المبارك: من مشاهير اعلام البصرة (١٩٨٣) ص ٢٠٢ ـ ٢٠٥.

قدرة مالية وصار نفوذه الاداري والسياسي واسعا في المدينة. كما ان هناك عددا من التجار اليهود والفرس والهنود قد كسبوا اموالا طائلة وتملكوا السفن التجارية التي تمخر عباب الخليج العربي[٢٨].

ولاشك ان هذه التطورات الاقتصادية في حياة المدينة قد رافقتها نتائج سلبية. فأن انتعاش المدينة وازدهار احوالها الاجتماعية والاقتصادية دفعت بالقوى السياسية المجاورة الى الطمع فيها والسيطرة عليها والاستحواذ على مصادر ثروتها. فتعرضت خلال هذه الفترة الى عدة هجمات واعتداءات قام بها الزنج وحكام عمان وقرامطة البحرين وحكام الاحواز وحكام البطائح. وشكلت هذه الاطماع خطرا حقيقيا ادى الى ارباك الاوضاع السياسية في منطقة البصرة واقلقت سكان المدينة لاسيما تلك الهجمات المتكررة التي شنها قرامطة البحرين[٢٩]. فقد ادت هذه الهجمات الى فزع الاهالي واضطرارهم في عدة مرات الى ترك المدينة واللجوء الى المدن والقرى المجاورة. ومع كل ذلك فأن هذه الاعتداءات لم تؤدي الى انحلال امر المدينة نهائيا، وذلك لوقوف اهالي المدينة صامدين حيال هذا الخطر. فظلت البصرة تتمتع بأهميتها الاقتصادية لانها بقيت تمثل المنفذ الاساس لواردات العراق وصادراته، واستمرت تمثل مركز اشعاع فكري وثقافي تجتذب العلماء والفقها والمحدثين وطلاب العلم.

(٤)

تبرز تلك الخلفية التاريخية والحضارية لمدينة البصرة بانها كانت مدينة معطاء منذ تأسيسها فقد عرفت بكثرة فقهائها ومحدثيها ومتكلميها ونحاتها وشعرائها، بهذا الصدد يقول الاديب البصري صاحب المقامات المعروفة الحريري، مانصه «ياأهل البصرة بلدكم او فى البلاد طهرة وازكاها فطرة واوسعها دجلة واكثرها نهرا ونخلة.. دهليز البلد الحرام وقبالة الباب والمقام منكم من استنبط ميزان الشعر واخترعه، وما من فخر الا ولكم فيه اليد الطولى والقدح المعلى[٣٠]». ويشير المقدسي الجغرافي مانصه «وبالبصرة صالحون وزهاد وورعون ومستورون[٣١]..» وقد فضلها على مدينة بغداد وذلك «لرفقتها وكثرة الصالحين بها[٣٢]..». وفي رواية اخرى لابن الجوزي قال فيها ان الهمذاني احد فقهاء الشافعية في المدينة كان في شبابه مهتما بجمع الاحاديث النبوية الشريفة وقال بانه كتب في البصرة الاحاديث عن اكثر من اربعمائة شيخ عالم[٣٣] بالحديث.

---

(٢٨) انظر الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ج ٣ ص ٣٥٥، ج ٧ص ٥١، ابن الجوزي: المنتظم ج ٩ ص ٣٣.

(٢٩)د. عبد الجبار ناجي: اطماع قرامطة البحرين في السيطرة على البصرة/مجلة كلية الاداب ١٩٧٣ ص ٤٩ ـ ٨١.

(٣٠) الشريشي: شرح مقامات الحريري (تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم) ج ٥ ص ٣٤٤، ٣٤٦.

(٣١)المقدسي: احسن التقاسيم ص ١٣٠.

(٣٢)ن.م ص ١١٧ ـ ١١٨.

(٣٣) ابن الجوزي: المنتظم ج ٨ ص ٢٧٢.

ومن بين العوامل التي اثرت الحالة الثقافية في مدينة البصرة والتي شجعت على تطويرها وعلى توسيع الأفق الحضاري لمجتمع المدينة تعدد روافد الفكر والثقافة ومراكز نشر العلم والمعرفة. ويعد المسجد الجامع من اهم مراكز التقاء الفكر ونشره. فالمسجد الجامع تاريخيا هو اهم خطة طوبوغرافية في المدينة واقدمها وكان يحتل موضعا وسطا تحيط به الاسواق وتتفرع منه الشوارع الرئيسة والازقة. وكانت اهميته الدينية كبيرة اذ كان المكان الذي يجتمع فيه المصلون يوم الجمعة وبذلك صارت وظيفته متشابكة من صلاة جامعة الى منبر سياسي واداري تذاع منه الاخبار والخطب والتوجيهات وتحل فيه المنازعات والمشاحنات العامة والخاصة.وفوق هذا وذاك فانه كان مدرسة جامعة لنشر العلم والثقافة فبعد كل فريضة كان العلماء والنحاة والمحدثون والمفسرون والمتشوقون للعلم والمعرفة يتحلقون حول كل اسطوانة من اساطينه الكثيرة. وقد ذاعت شهرة هذه الحلقات في المدن والامصار الاسلامية،فكانت تشير اليه الرحال لسماع العلم واخذه من افواه علماء الرجال والحديث والتفسير.كان هناك في ركن من اركان المسجد الجامع حلقة التف فيها الطلبة حول شيخ البصرة وناسكها الحسن بن يسار ابن ابي الحسن البصري (ت١١٠ هـ /٧٢٨) والحسن البصري عالم جليل كان فقيها ثقة وعابدا محترما وناسكا وزاهدا. وعندما اتخذ مدينة البصرة مستقرا له اخذ يتردد على المسجد الجامع وعلى حلقة ابن عباس الذي كان يحاضر الناس في تفسير القرآن. وقد عنت حلقة الحسن البصري بعد ان اكتملت ثقافته وارتفعت مكانته العلمية بتدريس التفسير والحديث[٣٤] والفقة بشكل خاص. ويجد المرء في جانب اخر من المسجد الجامع حلقة حول احدى اسطواناته يتصدرها ابو عمرو بن العلاء والخليل بن احمد الفراهيدي ويونس بن حبيب. وكان الخليل بن احمد الفراهيدي الازدي من اعلام البصرة المشهورين وهو واحد من النحاة الذائعي الصيت، وكما ذكر صاحب مراتب النحويين انه مفتاح العلوم[٣٥] ومصرفها، وبذلك المعنى وصفه الحريري في القول المذكور اعلاه.. وقد تتلمذ الفراهيدي (المتوفى عام ١٧٥/ ٧٩١) في المسجد الجامع ايضا الى ان انتهى به العلم ليترأس حلقة مستقلة تعنى باللغة والعروض والنحو. وكان يونس بن حبيب الضبي (المتوفى عام ١٨٢هـ / ٧٩٨) يترأس حلقة اخرى توافد اليها طلبة العلم والادب وفصحاء الاعراب لتلقي[٣٦] علم النحو. وكانت حلقة عبد الملك بن قريب الاصمعي (ت٢١٦ هـ /٨٣١) من اكثر الحلقات الثقافية ازدحاما لما كان يتمتع به هذا المؤرخ واللغوي من معرفة واسعة

(٣٤) ابن النديم: فهرست ص ٢٠٢، ابن سعد: طبقات ج ١ ص ١٥٨.

(٣٥) ابو الطيب اللغوي: مراتب النحويين (ت. محمد ابو الفضل ابراهيم ص ٥٥.

(٣٦) ابو سعيد السيرافي: اخبار النحويين البصريين (ط ١ /١٩٥٥)٢٧، من مشاهير اعلام البصرة ص ٩٨ ـ ١٠٤.

(٣٧) من مشاهير اعلام البصرة ص ١٠٧

في فنون الثقافة. وكان المسجد الجامع يضم ايضا حلقات لعلم الكلام والفلسفة تصدر احدها واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد.

وكان واصل (المتوفى سنة ١٣١هـ/٧٤٩) في بداية نشأته الثقافية تلميذا يتردد على حلقة الحسن البصري الى ان اعتزلها وكون حلقة مستقلة وقد التحق بهذه الحلقة الثقافية التي تدور محاورها على الفلسفة وشؤون العقل عمرو بن عبيد (ت ١٤٤هـ / ٧٦١) وصار فيما بعد من بين مؤسسي الاعتزال في المدينة.

هناك اخبار متفرقة في كتب الادب تعكس مدى اهمية هذا المركز الثقافي، المسجد الجامع، في نشر الوعي والفكر بين اهالي المدينة وذلك لما كان يدور في حلقات العلماء والمفكرين من مساجلات ومناقشات علمية محتدمة احيانا. فيروي الاصفهاني في كتابه الاغاني ان محمد بن بشير كان يوما جالسا في حلقة الرياش اللغوي النحوي (ت ٢٥٧ هـ / ٨٧٠م) في المسجد الجامع وكان الى جانب حلقته هذه حلقة لجماعة من اهل الجدل وكانوا يتصايحون ويتجادلون في المقالات[٣٨] والحجج. واورد ابن الفقية الهمذاني صاحب كتاب (البلدان) رواية تتصل بعمرو الجهني الناسك دخل عمرو هذا مرة المسجد الجامع في البصرة فوقف في حلقة النهديين والقرشيين وكانت حلقات للمساجلات الشعرية فانشد شعرا غزليا، يقول الهمذاني «فتصوب الحلق يستمعون اليه[٣٩]...». وذكر الخطيب البغدادي في كتابه (تاريخ بغداد) رواية حول الامام البخاري ورحلته الى البصرة وكان يوسف بن موسى المروروذي حاضرا انذاك في المسجد الجامع «اذ سمع مناديا ينادي، ياأهل العلم قد قدم محمد بن اسماعيل البخاري فقاموا في طلبه وكنت معهم فرأينا شابا لم يكن في لحيته من البياض يصلي خلف الاسطوانه فلما فرغ من الصلاة احدقوا به وسألوه ان يعقد لهم مجلس الاملاء فاجابهم الى ذلك فقام المنادي ثانيا فنادى من جامع البصرة: قد قدم ابو عبدالله محمد بن اسماعيل البخاري فسألناه ان يعقد مجلس الاملاء فقد اجاب بان يجلس غدا في موضع كذا... قال فلما ان كان بالغداه حضر الفقهاء والمحدثون والحفاظ والنظار حتى اجتمع قريب من كذا وكذا[٤٠] الفا..» ان هذه الروايات مجتمعة تبين بجلاء

---

(٣٨) الاصفهاني: الاغاني (بولاق) ج ١٢ ص ١٣٨.

(٣٩) ابن الفقية الهمذاني: البلدان ص ٤٤ وقد اورد الجاحظ رواية بان احد الشيوخ من اهل المسجد الجامع قال «ماكنت اريد ان اجلس الى قوم الا وفيهم من يحدث عن الحسن وينشد للفرزدق. انظر البيان والتبين (ط/٤) ج٣ ص ٢٢. وفي رواية اخرى قال الجاحظ ان جعفر بن الحسن اول من اتخذ في المسجد الجامع حلقة واقرأ القرآن فيه» البيان والتبين ج ١ ص ٣٦٧.

(٤٠) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد (ط/السعادة) ج٢ ص ١٥ وتبين قصة الحسن البصري والاعرابي الذي استفسر منه عن تحديد المؤمن والكافر وكيف انبرى واصل بن عطاء للاجابة على ذلك والاعتزال عن حلقة الحسن البصري، حيوية المناقشات والمجادلات التي كانت تدور في المسجد والجامع.

الاهمية الكبيرة التي كان يحتلها المسجد الجامع كمركز اشعاع فكري لنشر العلم، وهي تعكس ايضا تشوق اهل البصرة واهتمامهم المتزايد بتلقي المعرفة.

وفي الوقت الذي كان فيه المسجد الجامع، اول وحدة عمرانية قد تأسست في البصرة، مركز اشعاع ثقافي مهم في البصرة خلال الفترة المبكرة من تأسيسها كان المربد يمثل مركزاً ثقافيا اخر لايقل اهمية عن المسجد الجامع. وكان دور سوق المربد واثره كبيرين بحيث طغى على اسم البصرة فصارت تعرف بسوقها، وصار السوق السمة البارزة للمدينة اشتهرت به في عالم الادب والشعر ومازالت تظاهرة المربد الثقافية خالدة حتى وقتنا هذا. ان سوق المربد، كما هو الحال في الاسواق العربية المشهورة في الجاهلية قد مثل مركزا التقت فيه الصحراء بكل ماتحمله من نقاوة وفصاحة لغوية واصالة في القيم والمورثات العربية بالمدينة التي وضع العرب لبنات هيئتها العمرانية والسكانية وكان المربد سوقا للعطاء الفكري والعطاء الاقتصادي على حد سواء تجري في اسواقه الفرعية المتخصصة عمليات تبادل سلع البادية المحدودة بسلع المدينة الوافرة المتنوعة. ونظرا الى هذه الاهمية التجارية فقد تحول السوق الى محلة كبيرة مشهورة عرفت بمحلة المربد ايضا يربطها بالمسجد الجامع شارع محل الاسم ذاته، شارع المربد. واشار ياقوت الحموي الى شارع المربد هذا بانه كان من اجل شوارع المدينة وكان سوق المربد من اجل اسواقها حيث يجتمع فيه الشعراء والخطباء يتفاخرون باشعارهم وقبائلهم [٤١] وانسابهم، وبالفعل فقد نسب الى المربد نفر من العلماء والرواة والمحدثين والقضاة من امثال سماك بن عطية المربدي البصري وابي الفضل عباس بن عبدالله ابن الربيع المحدث وابي عمرو القاسم بن جعفر [٤٢] القاضي.

احتل سوق المربد موقعا في غربي مدينة البصرة باتجاه البادية فكان ملتقى اعراب البادية بعلماء البصرة،وصار عكاظ العرب في الفترة الاسلامية انتظمت فيه حلقات الشعراء يتناشدون فيه اشعار المديح والهجاء والغزل، وحلقات النحاة واللغويين. فكان نحاة البصرة وعلماؤ ها يختلطون بالاعراب في سوق المربد ولايأخذون روايات الاعراب كيفما اتفق انما كانوا يستفسرون عن القبائل العربية التي ينتمون اليها وعن مواطن سكناهم في شبه الجزيرة العربية بغية ان يتأكدوا من صحة انتمائهم الى القبائل العربية التي عرفت بفصاحتها كقبيلة عبد القيس وتميم وبني اسد وهذيل وغيرها.

وقد وردت عدة اخبار تبين فعالية هذا السوق في المجال الفكري والثقافي وفي تطوير الافق الحضاري في المدينة،قال احد اعيان المدينة،الجارود بن ابي سبرة،ممتدحا

---

(٤١) ياقوت الحموي: معجم البلدان (ط/اوربية) ج ٤ ص ٤٨٤.

(٤٢) ن. م

المربد قائلا «عليكم بالمربد فانه يطرد الفكر ويجلو البصر ويجلب الخير ويجمع بين ربيعة[43] ومضر».

وكان عبدالله بن اسحاق الحضرمي، اشهر علماء النحو في البصرة (ت ١١٧ هـ/٧٣٥) والذي وصف بانه من اعلم اهل البصرة واعقلهم وبانه امام في النحو واللغة يرتاد المربد للاستفسار من الاعراب عما يشغله من امر اختصاصه[44] وعلمه. وكذلك فعل عيسى بن عمر الثقفي (ت ١٤٩هـ / ٧٦٦) النحوي وهو عالم في النحو والعربية والقراءة، ووصفه ابو الطيب اللغوي بانه كان من افصح الناس فقد كان هذا العالم كثير السماع من الاعراب[45]. وكان ابو عمرو بن العلاء «اعلم الناس بالغريب والعربية وبالقرآن والشعر وبايام العرب وايام[46] الناس» يتردد هو الاخر على سوق المربد للالتقاء بالاعراب ومما قيل ايضا بهذا الشأن ان الفراهيدي كان معتادا على ان يلتقي باعراب البادية الفصحاء في المربد وفي مرابضهم في وادي الحجاز ونجد[47] وتهامة.

كما كان النضر بن شميل (ت ٢٠٣ /٨١٨) احد تلامذة الخليل بن احمد وكذلك الاصمعي من بين اللغويين والنحاة المشهورين الذين كانوا يرتادون سوق المربد ويلتقون بالاعراب والفصحاء وفي رواية تفيد ان ابا عمرو بن العلاء التقى يوما بالاصمعي وهو حامل مادونه من الواح فأستفسر منه عن الجهة التي قدم منها فقال له الاصمعي من المربد. وفي رواية اخرى عن ابي حاتم السجستاني (ت ٢٢٥ هـ /٨٦٨) قال «كنت اختلف مع ابي عبيدة والاصمعي الى الاشراف بالمربد من رهط سليمان بن علي للاستماع الى مايقرأ عليهما من الكتب..» ويشير الجاحظ صراحة الى انه تلقف الفصحاة شفاها من الاعراب في المربد، وكان يستظرف ويستمتع الاستماع الى حديث الاعراب الفصحاء. ومما يروي ايضا ان محمد بن سلام الجمحي صاحب كتاب طبقات الشعراء كان مع اصحابه مرة في سوق المربد فأقبل عليهم اعرابي من

---

(٤٣) الجاحظ: البيان والتبين (ط/٤) ج ١ ص ٣٤٥.

(٤٤) ابو الطيب اللغوي: مراتب النحويين ص ٢١

(٤٥) د. عبد الحسين المبارك: عيسى بن عمر الثقفي/مجلة الخليج العربي عدد ١/١٩٧٣ ص ٢٠٤ - ٢٠٥

(٤٦) الجاحظ: البيان والتبين (ط/٤) ج ١ ص ٣٢٠ - ٣٢١

(٤٧) انظر الزبيدي: طبقات النحويين واللغويين. (تحقيق ابو الفضل) ص ٤٩، الجاحظ: البيان والتبين ج١ ص ١٤٥ - ١٤٦، ياقوت الحموي: معجم الادباء ج ١٦ ص ١٧، ابن منظور: لسان العرب ج١ ١٤، من مشاهير اعلام البصرة ص ٩٤

البادية يحمل قطعة من الاديم مدعيا انها كتاب كان رسول الله (ص) قد كتبه فاخذه الجمحي واصحابه وقرأوا ما به،غير ان الشك ساورهم في صحة محتوياته ثم استفسروا من الاعرابي ان يحدثهم بحديث للنبي (ص) كي يتأكدوا من سلامة قول وصدق ادعائه وفيما اذا كان الكتاب صحيحا او مزورا فلما حدثهم بذلك انكروا قوله وانفضح امره فولى هاربا وذكر ايضا ان الشاعرين بشار بن برد وابا نواس كانا يترددان على[٤٨] سوق المربد لقول الشعر.

ان هذه النهضة الثقافية التي تميزت بها المدينة قد جعلتها من المدن العربية المشهورة وكان تأثير مدرسة النحو واسعا لا في العراق فحسب انما انتقل هذا التأثير الى ارجاء بعيدة كاليمن والحجاز والمغرب والاندلس.

(٤٨)انظر: محمد بن سلام الجمحي: طبقات فحول الشعراء (ط١/١٩٥٥) ص ١٣٦، ياقوت الحموي: معجم الادباء ج ٦ ص ٧٩، سعيد الافغاني: اسواق العرب في الجاهلية والاسلام (دمشق /١٩٦٠) ص ٤٢٢.